وزارة التعليم العالي
جامعة المدينة العالمية
كلية اللغات
قسم الأدب والنقد

جماليات التركيب البلاغي
في معاني الترخيم

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في آداب اللغة العربية والنقد والأدبي ، هيكل (ج)

إعداد الطالبة ..
ابتسام أحمد عباس المحمادي

إشراف الأستاذ الدكتور :
محمد الشرقاوي

شكر وتقدير

يطيب لي أن أجزل أوفى الشكر والتقدير لجامعة المدينة العالمية ، على ما تقدمه لطلبة العلم من منح دراسية ..

كما أشكر كافة القائمين عليها من مسؤوليها وعمداءها ، وطاقم أعضاء هيئة التدريس بها ، وكافة موظفيها .. على ما يبذلونه من تعاون كبير مع الطلبة ، والسعي لتذليل كافة العقبات العلمية التي تواجههم ..

وأثني بالشكر الجزيل والتقدير البالغ لسعادة الدكتور المشرف/ محمد الشرقاوي ، على حسن تعاونه وكريم اهتمامه ..

وأشكر كل من مدَّ لي يد العون والمساعدة برأي أو توجيه، أسأل الله أن يجعل جهودهم في موازين حسناتهم وأن يثيبهم كل خير على حسن تعاونهم. ..

الباحثة

المقدمـــــة ..

لا يزال فن الترخيم المتناثر بين طيات الشعر الجاهلي والإسلامي تحديدًا يستثير اهتمامي وكوامن تفكيري، ويلفت إعجابي بكثرة استخدامه بين شعراء هذين العصرين، كنوع من أسلوب التدليل والودّ أو العطف الذي يُكنُّه الشاعر بين خلجات نفسه ، وفي غمرة حديثه يستجلب أسلوب الترخيم النادر في استخدامه ، والذي يومض الأساليب البيانية برونقه الأخاذ فيضفي على الأشعار مزيجًا من ألوان متعددة من البيان العربي وكأنها ألوانُ طيفٍ ، يتمازج فيها اللفظ بالمعنى، وبأحاسيس الشاعر ومشاعره الخفية، التي لا تلبث أن تطفو على سطح شعره مُبِينَةً عن كوامن نفسه وعواطفه .

هذا الفن بَرَقَ وميضه في بدء نشأة اللغة وفي أولى عصورها ولكن في العصر الراهن أكاد أن أجزم أنه انقرض، وليس له وجود في الشعر الحديث، إلا ما توارد من أمثلته وقواعده في كتب النحو واللغة. هذا إلى جانب استخدام فن الترخيم لبعض أسماء الذكور في الشعر وذلك على قلة كبيرة بجانب أسماء الإناث ، الأمر الذي يدعو إلى التقصي عن الأسباب الباعثة للشاعر على استخدامه.

وقد عززتُ موقفي من ذلك بقول الدكتور عبد الحميد الأقطش(١): " ولأيًا بِلأي اجتهدنا أن نسوق أمثلة على الترخيم في الشعر الحديث فلم نوفق ، مما يشي بأن الظاهرة قد خَفَتَ بريقها في اللغة الشعرية المعاصرة ، وإلا لوقع لدينا على الأقل مثال واحد منها " ويردفُ بقوله :" ومن الواضح الجليّ أن الشعراء كانوا يحجمون عن تعاطي أسلوب الترخيم ، ويفضلون تصريف تراكيب النداء، وصلا بنحو ما هو تصريفها وقفًا ، فتظهر في أشعارهم من غير اختصارات، ولا تغييرات"(٢).

ولعل الباعث على فكرة هذا البحث هو قلةِ استخدام فن الترخيم في الشعر عمومًا، على أنه من فنون اللغة العربية الأصيلة ، والذي عُرف منذ نضج اللغة في العصر الجاهلي، ذلك العصر الذي ظهرت لدى شعرائه قمة البراعة اللغوية ، يقول الدكتور محمود شاكر في كتابه قضية الشعر الجاهلي (٣): " أن المخاطبين بالقرآن – يقصد في ذلك العصر أول ظهور الإسلام – كانوا يمتلكون قدرًا لا يمكن تحديده من القدرة على تذوّق البيان والنظم ، تتيحُ لهم الفصل الواضح بين الذي هو كلامُ البشر ، والذي هو مباين لكلام البشر ، وتمنحهم اليقين القاطع بأن هذا القرآن العربيّ المنزَّل بلسانهم ، هو كلامُ ربِّ العالمين "، ويقول في موطنٍ آخر :" أن الشعر عندهم كان أرفع الأمثلة الحية للبيان الذي يتذوّقونه بحرصٍ وشغف حتى بلغوا فيه هذا المبلغ، وأن هذا التذوّق كان من العُمْق ، ومن القوّةِ والظهور في الناس، ومن الذيوعِ بين عامتهم وخاصتهم بمنزلة فريدة غريبة ، لا نكادُ اليومَ نبلغُ صفتها ".

من هنا نعلم أن فن الترخيم كان وليد اللغة العربية الفصحى في أوج عصرها البياني والبلاغي، وقبل اختلاطها بالأمم الأخرى .

---

(١) في بحثه الموسوم بـ (نظرية ترخيم المنادى بين النحو القديم واللغويات الحديثة) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، للشيخ / محمود شاكر ، ص: ٩٥، ٩٧، الناشر/مطبعة المدني، دار المدني بجدة.

وفي هذا البحث الذي تكوّن من مقدمة وخاتمة ، توسطهما بابين، حاولت في الباب الأول التعريف بفن الترخيم لغويًا ، وحاولت في الباب الثاني إبراز الجانب التطبيقي في الشعر ، وسأحاول – بإذن الله -عرض نماذج من الترخيم في الشعر والنظر في الأجواء الباعثة للشاعر على استخدام هذا الفن ، ومحاولة تلمُّس الوشائج بين غرض القصيدة وأسلوب الترخيم بها ، والمقارنة بين الأغراض الباعثة على استخدام فن الترخيم بين الأسماء المذكرة والمؤنثة .

وفي أثناء بحثي عن المصادر العلمية في أسلوب الترخيم ، فوجئتُ بقلة الدراسات وندرتها في هذا الموضوع واقتصارها على المصادر النحوية، ومعالجة القاعدة فقط ، بعيدًا عن النواحي الأدبية والبلاغية، وهذه من أهم العقبات التي صادفتني في بحثي ، إذ أن المادة العلمية ليست من الوفرة بمكان، مما اضطرني للبحث والتنقيب عمّا تناثر بين طيات الكتب عرضًا .

إلا أن هذا الأمر لم يثنيني عن عزمي ، ومن هنا قررتُ أن يكون هذا البحث مناطًا لدراسة الترخيم ، وتتبعه في القصائد العربية بين العصرين الجاهلي والإسلامي ..

وختامًا .. ففقد أخلصت النية لله بهذا العمل ، وأرجو أن يُغفر لي الزلل ، لإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، وإن أصبت فبتوفيق من الله ، أسأل الله أن ينفع به وأن يجعله غرسًا طيبًا نافعا.

عناصر خطة البحث ..

م	الموضوع	الصفحة
١	شكر وتقدير	٣
١	المقدمة	٤_٥
٢	عناصر خطة البحث	٦
٣	الباب الأول	٧
٤	المبحث الأول .. معاني الترخيم اللغوية	٧
٥	الترخيم في اللغة	٨
٦	الترخيم في الاصطلاح	٩
٧	المبحث الثاني .. الإطار النحوي للترخيم	١٠
٨	أغراض الترخيم	١١
٩	الترخيم في القرآن الكريم	١١
١٠	الترخيم في الحديث الشريف	١٢
١١	الظروف المناسبة لوقوع الترخيم	١٤
١٢	الترخيم في غير النداء	١٥
١٣	الترخيم في التصغير	١٥
١٤	الباب الثاني .. جماليات التركيب في الترخيم	١٧
١٥	المبحث الأول .. التراكيب وأثرها البلاغي	١٨
١٦	بين الضرورة الشعرية والجمال الأسلوبي	١٩
١٧	المبحث الثاني .. الترخيم في لغة الشعر ودلالته البلاغية والجمالية ..	٢١
١٨	الترخيم في أسماء الرجال	٢٦
١٩	المبحث الثالث .. الترخيم عند كثير عزة	٢٩
٢٠	الخاتمة	٣٣
٢١	المراجع والمصادر	٣٤

الباب الأول ..

معاني الترخيم اللغوية ..

المبحث الأول : **الترخيم في اللغة** :

ورد في لسان العرب عدة معاني لمادة (رَخَــمَ) وهي كالتالي :

* أَرخَمَتْ النَّعَامةُ والدجاجةُ على بيضها ، ورَخَمَتْ عليه ورَخَمَتْهُ تَرْخُمُهُ رَخْمًا ورَخَمًا ، وهي مُرْخِمٌ ورَاخِمٌ ومُرْخِمَةٌ : حَضَنَتْهُ (١) .

* وأَلقى عليه رُخْمَتَهُ ، أي: مَحَبَّتُهُ ومَوَدَّتَهُ(٢) .

* ورَخَمَتِ المرأةُ ولَدَهَا تَرْخُمُهُ وتَرْخَمُهُ رَخْمًا : لاعبتْهُ (٣) .

* وأَلْقَتْ عليه رَخَمَهَا ورَخْمَتُهَا ، أي: عَطْفَتَهَا ، وأنشدَ لأبي النجم (٤):

مُدَلّــلٌ يَشْتُـــمُنَا ونَرْخَمُهُ   أَطْيَبُ شيءٍ نَسْمَهُ ومَلْثَـــمَهُ

* والرَّخْمَةُ أيضًا : قريبٌ من الرَّحْمَةِ ، يقال : وقَعَتْ عليه رَخْمَتُهُ ، أي: محبَّتُهُ ولِينُهُ(٥) .

* ويقال : رَخْمَان ، ورَحْمَان ، قال جرير (٦):

أَوَ تَتْرُكُونَ إلى القَسَّيْنِ هِجْرَتَكُم   ومَسْحَكُمْ صُلْبَهُمْ رَخْمَانَ قُرْبَانَا

*ورَخِمَهُ رَخْمَةً لغةٌ في : رَحِمَهُ رَحْمَةً ، قال ذو الرمة (٧):

كَأَنَّهَا أُمُّ ساجِي الطَّرْفِ ، أَخْدَرَهَا   مُسْتَوْدَعٌ خَمَرَ الوِعَاءَ، مَرْخُومُ

* قال الأصمعي : مَرْخُومٌ أَلقِيَتْ عليه رَخْمَةَ أُمه ، أي: حُبَّهَا له ، وأُلْقَتَهَا إياه (٨) .

* ويقال : أَلْقَى الله عليك رَخْمَةَ فلان ، أي: عطفه ورِقَّتَهُ(٩) .

* والرَّخْم : المَحَبَة (١٠) .

* والرَّخِيم : الحَسَنُ الكلام ، والرَّخَامةُ : لينٌ في المنطق حَسَنٌ في النساء (١١) .

* وفي حديث مالك بن دينار : بلغنا أن الله تبارك وتعالى يقول لداؤود يوم القيامة : " يا داؤود : مجِّدْنِي بذلك الصوت الرَّخِيمِ "، وهو الرقيق الشَّجِيُّ الطَّيِّبُ النَّغَمَة ، وكلامٌ رَخِيمٌ ، أي: رَقِيق(١٢) .

* ورُخِّمَتِ الجاريةُ رَخَامةً ، فهي رخيمة الصوت ، ورَخِيمٌ : إذا كانت سهلةَ المنطق ، قال قيس بن ذُرَيح (١٣):

رَبْـــعًا لِوَاضِحَةِ الجَبِينِ غَرِيرةً   كالشَّمْسِ إذ طَلَعَتْ ، رَخِيمُ المنْطِقِ

* هي رخيمةُ الصوتِ ، أي: مَرْخُومةُ الصوتِ ، ويقال ذلك للمرأةِ والحِشْفِ (١٤) .

* والترخيمُ : التَّلْيِين ، ومنه الترخيمُ في الأسماء ؛ لأنهم إنما يحذفون أواخرها ، ليُسَهِّلُوا المنطق بها(١٥) .

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٢/٢٣٣، العمود/٢، مادة : رَخَمَ .

(٢) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٢/٢٣٣، العمود/٢، مادة : رَخَمَ .

(٣) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٢/٢٣٣، العمود/٢، مادة : رَخَمَ .

(٤) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٢/٢٣٣، العمود/٢، مادة : رَخَمَ .

(٥) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٢/٢٣٤، العمود/١، مادة : رَخَمَ .

(٦) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٢/٢٣٤، العمود/١، مادة : رَخَمَ .

(٧) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٢/٢٣٤، العمود/١، مادة : رَخَمَ .

(٨) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٢/٢٣٤، العمود/١، مادة : رَخَمَ .

(٩) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٢/٢٣٤، العمود/١، مادة : رَخَمَ .

(١٠) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٢/٢٣٤، العمود/١، مادة : رَخَمَ .

(١١) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٢/٢٣٤، العمود/٢، مادة : رَخَمَ .

(١٢) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٢/٢٣٤، العمود/٢، مادة : رَخَمَ .

(١٣) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٢/٢٣٤، العمود/٢، مادة : رَخَمَ .

(١٤) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٢/٢٣٤، العمود/٢، مادة : رَخَمَ .

(١٥) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٢/٢٣٤، العمود/٢، مادة : رَخَمَ .

* والترخيمُ : الحذف ، ومنه ترخيم الاسم في النداء ، وهو أن يحذف من آخره حرف أو أكثر ، كقولك إذا ناديتَ حَرِثًا : يا حَرِ ، ومالِكًا : يا مالِ (١).
* سمي ترخيمًا : لتليين المنادي صوته بحذف الحرف (٢).

وقد أجمعت المعاجم على أن الترخيم يدور عامة حول معاني : العطف والحنان ، والتدليل ، بهذا فإن معاني الترخيم في المعجم اللغوي تنحصر في معانٍ حسية وهي :

١. الحضن .
٢. المحبة والمودة .
٣. الملاعبة .
٤. الرحمة واللين .
٥. الألفة .
٦. العطف والرقَّة .
٧. حسن المنطق ولينه .
٨. الصوت الجميل الشَّجِيَّ .
٩. تليين الأسماء ، بحذف أواخرها ، وهو ضربٌ من التدليل .

والترخيم في الاصطلاح ..

هو حذف آخر اللفظ بطريقة معينة ، لداعٍ بلاغيّ (٣)، أو هو حذف بعض الكلمة على وجه مخصوص (٤).

****

المبحث الثاني :

الإطار البلاغي والنحوي للترخيم

يقول مبارك في بحثه الموسوم بـ النداء بين النحويين والبلاغيين (٥) :" إن دراسة الجملة في العربية لا يخرج عن علمين اثنين هما :
-ما يعنى بصحة التركيب .. وهو علم النحو .
-والثاني ما يعنى بما وراء هذه الصحة التركيبية من مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وما تحمله القرائنُ من معانٍ تُفهمُ من السياق ، وهي معانٍ زائدة عن علم النحو ، ويسمى هذا العلم بعلم المعاني .

ولا يشُك باحثُ البلاغة أن الجملة الصحيحة نحويًا ، تظلُّ مفتقرة إلى أحد أهم خصائص الصحة وهي مطابقتها للمقام ، ولمقتضى الحال ، وما يستبين من القرائن عند خروج الكلام على مقتضى الظاهر.

وللنداء أغراضًا بلاغية تنشأ من خلال العلاقة بين المنادي والمنادى يحددها التركيب اللغوي الندائي ، فإن كان التعبير الندائي يحملُ مقاصد واضحة صريحة تفهم من التركيب اللغوي نفسه

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٢/٢٣٤، العمود/٢، مادة : رَخَمَ .
(٢) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٢/٢٣٤، العمود/٢، مادة : رَخَمَ .
(٣) النحو الوافي ، عباس حسن ، جـ٤/١٠١..
(٤) معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، للدكتور/ محمد سمير اللبدي ، ص: ٩٢-٩٣.
(٥) بحث بعنوان (النداء بين النحويين والبلاغيين)، لمبارك تريكي ، المركز الجامعي لمدية ، منشور في مجلة حوليات التراث، ع ٢٠٠٧/٧ م . .

كان الغرض من النداء أصليًا وهو تنبيه المخاطب ، وتهيئته للاستماع إليه ، أما إن كان التركيب الندائي يتضمن معانٍ خفية زائدة على المعاني الأصلية ، فإنها غالبًا ما ترتبط بالجوانب النفسية ، والشعورية والوجدانية، ويعتمد الكشف عنها من خلال القرائن المقامية والسياقية"

فالترخيم يُعدُّ في البلاغة العربية أحد أنواع الحذف الواقع في الكلمة ، وهو شائعٌ في كلام العرب شعرًا ونثرًا ، لكنهم لم يسيروا فيه على سُنَنٍ واحد ، فمرة يحذفون حرفًا ، وثانية يحذفون حرفين ، وثالثة يحذفون كلمة (١)" ..

وأدَقُّ وصفٍ وأجمله للحذف ما قاله الشيخ عبد القاهر في دلائله :" هو بابٌ دقيقُ المسلك ، لطيفُ المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، وإنك ترى به ترك الذكرِ أفصح من الذكر ، والصمتُ عن الإفادة أزيدُ للإفادة ، وتجدُكَ أنطقُ ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ "(٢)..

ويقرر ابن جني أن الحذف .. يعتري الجملة ، والمفرد والحرف ، والحركة ، وليس شيءٌ من ذلك إلا عن دليل "(٣).

وينقسم الحذف إلى قسمين : قياسي ويسمى (الإعلالي) ، وهو ما كان لعلة تصريفية ، كالاستثقال ، والتقاء الساكنين وغيرها، وقسم آخر غير قياسي ويسمى (الاعتباطي) أو (الترخيمي) وهو ما كان الغرض فيه التخفيف ، وقد يرتكبه الشاعر لضرورة الشعر(٤)"

أما في النحو العربي فالترخيم يعدُّ من فروع النداء ، وينقسم إلى عدد من الأقسام هي كالتالي :

١. ترخيم التصغير .
٢. ترخيم النداء ... وهو حذف آخر المنادى ، وفق شروط معينة .
٣. ترخيم الضرورة الشعرية (٥).

***ترخيم التصغير ..**

والغرض من تصغير الترخيم، هو الغرض من التصغير الأصلي ، وقد يكون الدافع إليه هو : التودد والتدليل ، أو الضرورات الشعرية .

***ترخيم النداء ..**

وهو حذف آخر المنادى المفرد العلم (٦).

وينقسم ترخيم المنادى إلى صنفين (٧):

أ- منادى يجوز ترخيمه بلا شرط ، وهو المختوم بتاء التأنيث ، كقول امرئ القيس:

***أَفَاطِمُ مَهْلا بعض هذا التدلُّل ***

إذ الأصل : يا فاطمة ، فحذفت التاء تخفيفًا .

ب- منادى غير مختوم بتاء التأنيث ، ولترخيمه أربعة شروط ، وهي:

*أن يكون علمًا ، نحو : أَحمد .
*أن يكون مكونًا من أكثر من ثلاثة أحرف ، فلا يقع الترخيم في نحو : هند .
* ألا يكون مركبًا تركيبًا إضافيًا ، نحو : صلاح الدين .
أو اسناديًا نحو : تأبط شرًا .

ويجوز في الترخيم لغتان :

١. أن ينوي المحذوف منه ، لغة من ينتظر الحرف ، ويترك الباقي بعد الحذف على ما كان عليه من حركة أو سكون .

---

(١) الترخيم في العربية ، معناه، أغراضه ، أنواعه، للدكتور/ إبراهيم حسن إبراهيم ، ص:٣ .

(٢) دلائل الإعجاز ، للشيخ عبد القاهر الجرجاني ، ص/ .

(٣) الإعجاز بإيجاز الحذف في القرآن الكريم ، ستنا محمد علي ، بحث منشور في مجلة العلوم والبحوث الإسلامية ، العدد الثاني ، فبراير ، ٢٠١١م .

(٤) ضرائر الشعر ، لابن عصفور الإشبيلي ، تحقيق : السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس ..

(٥) أضاف هذا الشرط عباس حسن ، في النحو الوافي ، جـ٤/١٠١ .

(٦) الترخيم في العربية ، معناه ، أغراضه، أنواعه، للدكتور/ إبراهيم حسن إبراهيم ، ص: ٩ .

(٧) معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، للدكتور/ محمد سمير اللبدي ، ص: ٩٢-٩٣.

٢. أن لا ينوي المحذوف ، وتسمى لغة من لا ينتظر الحرف .

*ترخيم الضرورة الشعرية(١) . ..

وهذا الترخيم يجيءُ على ضربين ، أحدهما : أن تحذف من آخر الاسم المنادى ما يجوز حذفه وتبقي سائر الاسم على حاله ، كقولك في ترخيم حارثٍ " حَارِ " وفي حنظلةَ " يا حَنْظَلَ "، وفي هرقل " يا هِرَقْ " بتسكين القاف(٢) .

والضرب الثاني : أن يحذف للترخيم ما يجوز حذفه ، ويجعل باقي الاسم كاسم غير مرخم ، فتجريه في النداء على ما ينبغي للاسم المفرد، كقولك في " حارث " " يا حَارِ " وفي حنظلة " يا حَنْظَلُ "، وفي هرقل " يا هِرَقُ "، وهذا الترخيم إنما يكون في النداء (٣)، قال الشاعر :

ألا هَل لهذا الدَّهْرِ من مُتَعَلِّلِ   على الناسِ مهما شاءَ بالناسِ يَفْعَلِ
وهذا ردائي عندهُ يستعيرَهُ   لِيسْلُبَنِي عِزي أَمَالَ بنُ حَنْظَلِ

ومنه قول الشاعر :

خُذُوا حِذْرَكُم يا آل عِكْرِمَ واذكروا   أواصرنا والرحم بالغيبِ تذكرُ

ففتح الميم من (عكرمَ) لأن الأصل عكرمة ، فحذف الهاء وبقي الميم على حالها.

*لغة من ينتظر ، ولغة من لا ينتظر في الترخيم ..

(من ينتظر ، ومن لا ينتظر) هاتان صفتان لاستعمالين عربيين للاسم المرخم بعد أن حُذف من آخره ما حُذف ، فلأي شيء يكون الانتظار أو عدم الانتظار ؟ !

إن هذا الاسم المنادى المرخم والذي حذف آخره يستعمله العرب بعد هذا الحذف على لغتين هما : لغة من ينتظر ، ولغة من لا ينتظر ، ويقصد **بالانتظار** : التوقف عند ما بقي من الكلمة بعد الحذف ، فلا يغير فيها شيء ، لأن ما حُذف منها كأنه موجود تقديرًا .

أما **من لا ينتظر** : فهو الذي لا يتوقف انتظارًا للمحذوف ، بل يعامل ما بقي من الكلمة على أنه كلمة مستقلة، فيضم آخره مبنية .

وعلى ذلك فلغة من ينتظر : هي تلك اللغة التي تعامل الاسم المرخم على اعتبار أنه اسم غير كامل الحروف ، فتتوقف عند ما بقي من حروفه على ما هي عليه دون تصرف فيه انتظارًا للمحذوف .

أما لغة من لا ينتظر : فهي تلك اللغة التي تعامل الاسم المرخم على اعتبار أنه اسم مستقل قد قطع عمّا حُذف منه ، وحينئذ يتصرف في آخره بما يقتضيه بناؤه على الضم (٤)..

أغراض الترخيم (٥):

١. قد يكون للفراغ من النداء بسرعة للإفضاء إلى المقصود وهو المنادى له .

---

(١) "هي مصطلح يطلقه النحاة والنقاد العرب القدماء على عدد من الظاهر اللغوية المختلفة ، التي نجدها مبثوثة في كتب النحو والصرف معًا ، ونجدها كذلك في كتب النقد القديم، فقد ظن النحاة والنقاد أن الوزن والقافية في الشعر يُلجئان إلى ارتكاب ماهة غير مألوف في النظام اللغوي " (لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية ،للدكتور/ محمد حماسة عبد اللطيف ، دار الشروق ، ط١،١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

(٢) ما يحتمل الشعر من الضرورة ، لأبي الحسن عبد الله السيرافي ، تحقيق وتعليق / د.عوض بن حمد القوزي ، ص:٩٣-٩٤.

(٣) المرجع السابق .

(٤) النحو المصفى ، للأستاذ الدكتور/ محمد عيد ، ص/٤١٢-٤١٣، الناشر/ عالم الكتب .

(٥) معاني النحو ، للدكتور/ فاضل السامرائي ، جـ٤/٢٨٦.

٢. إظهار أن المتكلم عاجزٌ عن إتمام بقية المنادى ، لضعفه عن ذلك بمرض أو نحوه ، فيقول مثلا : يا خالِ ، مناديًا (خالدًا) كأنه لا يستطيع إتمام بقية الاسم، وهذا يحصل كثيرًا في حياتنا اليومية ، فإننا نسمع المريض أحيانًا ينادي ابنه أو أخاه أو صديقه فلا يتم اسمه كأنه يعجزُ عن ذلك .

٣. قد تقتضي الضرورة الشعرية هذا الحذف ؛ ليستقيم الوزن ، كقول الشاعر :

أفاطمُ لو شَهِدْتِ ببطنِ خبت وقد لاقى الهزبر أخاكِ بشرًا

وقوله :

أَصاحِ ترى برقًا أريك وميضَهُ كلمعِ اليدينِ في حَبِيٍّ مكللِ

الفرق بين النداء التام ، وبين ترخيم المنادى ..

يقول الدكتور الأقطش(١) :" ثمة تفاوتٌ كبير من جهة الاستعمال بين تراكيب النداء التامة والمرخمة ، فالأولى تراكيب عادية جدًا ، وأمثلتها أشهر من أن تذكر، وأظهر من أن تنكر ، وهي في الشعر من المشاع العام ، الذي نلقاهُ في كل القصائد ، ولا ثمرة عملية من إحصائها ، أما تراكيب النداء المرخمة، فليست معروضة على قارعة الدروب الشعرية العادية . والشعراء إنما يلجؤون إليها في مواضع كلامية مقيَّدة تقييدًا خاصًا ، فالترخيم متطلبًا مدرجًا ضمن مفردات الثقافة الشعرية القديمة، لكنه كان متطلبًا اختياريًا حرًا في استخدامات الشعر ".

الترخيم في القرآن :

لم يرد الترخيم في القرآن الكريم ، إلا ما ذكره المفسرون من ورود قراءة (يا مَالِ) في قوله تعالى : " يَا مَالِكُ لِيَقضي علينا رَبُّكَ " (٢)، وقال أبو السعود (٣) في تفسيره لهذه الآية : " وقُرئ : (يَا مَالِ) على الترخيم بالضم والكسر ، ولعله رمز إلى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه"، وقال أبو الفتح : هذا مذهب مألوف في الترخيم ، إلا أن في هذا الموضع سرًّا جديدًا ، وذلك لأنهم ولعظم ما هم فيه ضعفت قواهم ، وذلَّت أنفسهم ، وصَغُرَ كلامهم ، فكأنه من مواضع الاختصار ضرورة عليه ، ووقوفًا دون تجاوزه إلى ما يستعمله المالك لقوله ، والقادر على التصرف في منطقه (٤).

ويقول الدكتور محمد أبو موسى في هذه الآية (٥): " وهذه عِلَّة بلاغية لأنها تشير إلى ما وراء الحذف ، من ضيق الصدر، وغلبة اليأس ، ومعاناة الهول معاناةً شغلتهم عن إتمام الكلمة ..".

الترخيم في الحديث الشريف :

لم يرد في الحديث النبوي إلا في موضعين اثنين ذكرهما الدكتور الأقطش(٦) وهي :

*في حديث (زيارة البقيع) : فأسرع فأسرعت ، فهرولَ فَهَرْوَلْتُ ، فأحضرَ فأحضرتُ فسبقته ، فليس إلى أن اضطجعتُ ، فدخل ، فقال مالك بن أنس : (يا عائشَ) . (صحيح مسلم /٦٧٠/٢) .

* وفي حديث (مالك بن أوس) :" أرسل عمر بن الخطاب فجئته فوجدته جالسًا على السرير ، متكئًا على وسادة من آدم ، فقال لي : (يا مَالِ) إنه قد دِفَّ أهل أبياتٍ من قومك ". (مسلم ١٣٧٧/٤)

---

(١) في بحثه الموسوم بـ (نظرية ترخيم المنادى بين النحو القديم ، واللغويات الحديثة)، الدكتور/ عبد الحميد الأقطش .

(٢) سورة الزخرف ، آية : ٤٣ .

(٣) تفسير أبي السعود ، المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود محمد العمادي ، جـ٨/٥٥.

(٤) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني ، جـ٢/١٥٧.

(٥) خصائص التراكيب ، للدكتور محمد أبو موسى.

(٦) في بحثه الموسوم بـ (نظرية الترخيم ، بين النحو القديم واللغويات الحديثة ، ص/٢٤٠.

الظروف المناسبة لوقوع الترخيم ..

هي الظروف الخاصة بالأساليب الإنشائية ، غير الخبرية ، وخصوصًا أساليب النداء وما يشاكله ، وهذا من الأساليب التي تختلف عن سائر الكلام في أنه لا ينطق بمثله بل ينادى المنادي به .. حيث إن الأساليب الإنشائية بمختلف أضربها تظل أوقع في النفس من نظائرها الإخبارية ، وتليق به كل الاستعمالات (١).

وغني عن التذكير أن النداء من الأساليب التي توظف لحمل المنادى على أن يلتفت ، ويقبل على أشياء يحبها ، وألفاظ يمكن أن تلامس قلبه ، وتجذب مشاعره ، ومنه أسلوب نداء الترخيم الذي يصير به الاسم أخف وأسرع وأقرب إلى القلب ، وأجرى على اللسان ، ولا شكَّ أن من يستخدم منادى الترخيم فإنما يشعر الآخر بدلاله والتلطف معه في الحديث ، وبين عن الفرق بين حديث لمن يرخم اسمه ولغيره ، فالترخيم يعد من أساليب العربية المصنوع صناعة بالغة في اللطف والدقة في التودُّد .

الترخيم في غير النداء ..

يجوز الترخيم في غير النداء ضرورة وعلى اللغتين بشرط أن يكون المرخم صالحًا للنداء ، وقد مان هناك خلاف بين المبرد وسيبويه حول ذلك ..
فسيبويه يرخم على اللغتين من ينتظر ، ومن لا ينتظر ، أما المبرد فلا يرخم إلا على لغة من لا ينتظر خاصة، ويستدل على ذلك بأن هذا حذف في غير النداء ، فصار بمنزلة ما حذف من الأسماء على غير قياسٍ ، نحو : يدٍ ، وهذا النوع إنما يكون إعرابه في الحرف الذي يلي المحذوف ولا ينتظر غيره .
أما سيبويه فيحتج بأن هذا الحذف وإن كان في غير النداء فهو مشبه به ، وجاز فيه ما جاز في النداء ، ومنه قول الشاعر :

لَنِعمَ الفتى تَعْشُوا إلى ضوء ناره　　　طريفُ بن مالِ ليلة الجُزْعِ والحضرْ

والشاهد فيه ترخيم " مالك " في غير النداء ضرورة ، وجعله بمنزلة اسم لم يحذف منه شيء(٢).
.

ألا أضحت حبالكم رمَامًا　　　وأضحتْ منكَ شاسعةٌ أُمَامَا

يريد أُمامة ..

وقال آخر من البسيط ..

إن ابن حارثَ إن اشتقَّ لرؤيته　　　أو امتدحه فإن الناس قد علموا

---

(١) بحث .. نظرية الترخيم ، بين النحو القديم واللغويات الحديثة ، للدكتور/ عبد الحميد الأقطش .

(٢) رسالة ماجستير بعنوان :" أساليب النداء في شعر رثاء شهداء انتفاضة الأقصى ، دراسة وصفية تحليلية ، ص: ٩٣، إعداد: غريب محمد نايف ، إشراف/ الأستاذ الدكتور/ محمود محمد العامودي ،١٤٣١هـ-٢٠١٠م، بالجامعة الإسلامية بغزة ".

وأراد .. ابن حارثة (١) ..

الترخيم في التصغير ..

هو أن تحذف الزوائد من الاسم ، ثم تصغر حروفه الأصلية ، فتقول في تصغير أحمد : حميد ؛ لأنه من الحمد ، وفي تصغير الحارث : حريث ؛ لأنه من الحرث ، وفي تصغير غضبان : غضيب ؛ لأنه من الغضب ؛ لأن الألف والنون زائدتان .

وكذلك ذوات الأربعة ، تقول في تصغير قنديل على لفظه قنيديل ، فإن صغرته مرخماً حذفت الياء فقلت : قنيدل (٢).

يقول عمر بن أبي ربيعة :

أَسُكَيْنَ ما ماءُ الفراتِ وطيبُه ... مناّ على ظمأ وحبّ شرابِ

فصغر اسم سكينة ، ورخَّمه في ذات الوقت ، وفي التصغير مع الترخيم مزيدًا من التدليل والتمليح والتلطُّف ..

ويقول في قصيدة أخرى ..

مَا خُنْتُ عَهْدَكِ يا عُثَيْمَ ، ولا هَفَا قَلْبي إلى وَصْلٍ لِغَيْرَكِ فاعْلَمِي

وقد صغر اسم (عثيمة) ورخمه في ذات الوقت ، ليعبر بالاسم المرخم عن التلطف والتدليل وليبين عن مقدار منزلته من قلبه ..

وقال عبد الله بن علقمة ..

إن يقتلوني يا حُ ُبَيْش فلم يدع هواكِ لهم مني سوى غلة الصدر

وحبيشة .. هي جارية علق قلبه بها ، فأخذ يخاطبها بـ التصغير مع الترخيم في آن واحد وهذا إنما يدل على ما يكنه من ودٍّ وتحبُّب لها ..

****

---

(١) ذكرت هذه الشواهد لورود الترخيم في غير النداء، من كتاب أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري .

(٢) المبرد في كتابه الكامل في اللغة والأدب، للمبرد أبو العباس محمد بن يزيد ، ج ٢ ص ٩٠٣.

الباب الثاني :

جماليات التركيب في الترخيم

المبحث الأول ..

التراكيب وأثرها البلاغي ..

يُعد التركيب البنائي في لغة العرب عامة، والشعر خاصة ، مناط الجمال اللفظي والسياقي والمعنوي ، وهو علم قائم بذاته في البلاغة العربية ، ألا وهو علم المعاني .
وإن هذا الفن اللغوي ليبرهن لنا دقة تراكيب العربية ، وجودة انتقائها الذي يجمع بين صحة القواعد النحوية، وأحاسيس النفس البشرية، فيسخر اللغة لبيان أصدق مشاعرها ، وأعمق أحاسيسها، ويقول العلوي في الطراز :" اعلم أن منزلة المعنى من اللفظ هي منزلة الروح من الجسد، فكل لفظ لا معنى له فهو بمنزلة جسد لا روح فيه " (١) ولما كان الشعر هو أرفع أصناف البيان العربي وأعلاها بعد القرآن الكريم، لذا فإن الإبداع فيه لا يظهر في انتقاء الكلمات وحسب ، وإنما في طريقة رصفها وتركيبها .

يقول الدكتور / وهيب(٢):" لقد كان تركيب الشعر الجاهلي مؤسسًا على مبدأ الترابط ، وتحققت وحدة القصيدة بواسطة علاقات ارتباط رقيقة لطيفة"، وقد التفت القدماء باكرًا إلى المستوى التركيبي ، وعبروا عن ذلك بمصطلح النظم ، الذي تحدث عنه عبد القاهر وأرجأ أمر الإعجاز إليه (٣).. ثم إن المصطلح وإن ارتبط في ابتداء أمره بالحديث عن إعجاز القرآن، إلا أنه فيما بعد صار آلية عامة يستخدمها النقاد في تحليلاتهم للكلام الأدبي .

يقول الدكتور محمد حماسة (٤):" إن علم المعاني الذي أسفرت عنه محاولة عبد القاهر الفَذَّة – هو علم يقوم على فهم التراكيب وأسرارها – ويقدّم مادة وفيرة لبيان مادة المعنى النحوي في البناء الشعري "، ويردف بقوله:" إن النصَّ الشعري بطبيعة تركيبه مُكَثَّف مُرَكَّز يحملُ من الدلالات أكثر مما تحملُ اللغة المستعملة في مجالات أخرى ، أو اللغة المألوفة في تركيب أي نص أدبي آخر ، وما لا يقال في القصيدة أكثر مما يقال ، فالشاعر يكتفي أحيانًا باللمحة الدالة والكلمة الخفية ، وهذه المفردات تكتسب معاني إضافية في السياق الجديد و التراكيب الجديدة "(٥)

جماليات الترخيم ..
بين الضرورة الشعرية .. والجمال الأسلوبي ..

إن براعة التراكيب تكمن في تآلف الألفاظ والمعاني، وتوافُقها، الذي يبرز الجانب الجمالي بها، ويكون بينها اندماجًا تامًا في النسق والدلالة ، يقول الدكتور النويهي :" علينا ألا ننسى أن

---

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، وعلوم وحقائق الإعجاز ، للإمام يحيى بن حمزة اليمني ، بتحقيق / عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية ببيروت

(٢) نظام التصوير الفني في الأدب العربي، د. وهيب طنوس ، ص/١١٠، منشورات جامعة حلب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

(٣) جماليات التركيب بين الشعر والنثر في التراث البلاغي والنقدي ، للدكتور/ أحمد محمد ويس ، بشيءٍ من التصرف .

(٤) التوابع في الجملة العربية ،ص: ٢٣، للدكتور / محمد حماسة عبد اللطيف ، الناشر : مكتبة الزهراء .

(٥) المرجع السابق ، ص/٢٨.

الأديب نفسه لم ينتج أدبه بقصد التسجيل التاريخي بل أنتجه في المحل الأول لينفس عن حاجته العاطفية والجمالية التي ثارت به وهزّتْ وجدانه " (١).

ويقول الدكتور طبانة :" فاللفظ الذي يستعمله الأدباء ، أو الذي ينبغي أن يستعملوه ، يمتازُ بالتخيير والانتقاء، ولا ينحدر إلى الجري على ألسنة العوامُ من الناس – ومعنى العوام أو العامة هنا عامة أهل اللغة –"(٢).

وإن من أهم الأسباب لدى القارئ أو المستمع التي تدعوه فطرته اللغوية إلى الإحساس بجودة الكلمة في موقعها، ولذة وقعها، إنما هو شعوره بأن تلك اللفظة ذات معنى دلالي .. ويقول الدكتور عبد الله الطيب :" مهما يكن من تعبير أوجز فيه صانعه ، واستوفى الغرض ، إلا كان جرسه حسن الوقع، إذ النفوسُ يُعْجِبُهَا وقع اللفظ القصير إن كان يحوي الفكرة الطويلة والمعنى الضخم "(٣). ولا يخفى على دارسي الأدب العربي أن أثر الشعور بالجمال وتقديره والإعجابُ به مرجعه أول كل شيء إلى الذات الإنسانية ، وإلى أعماق القلوب .

والترخيم في الشعر له جمالياته المعنوية والشعورية والتي – أزعم – أنها تتسلل إلى أعماق النفس البشرية ، ومنه ينفذ إلى المعنى البلاغي الذي يفرضه المقام على الشاعر .. ولو لم يكن ذا تأثيرٍ بالغ في مشاعر السامع وأحاسيسه ، بل نافذًا ومخترقًا لأعماقها ، لما وجد في أرق عبارات اللطفً المعنوي والحسي ..

فثمة تناغم فريد في الإيقاع الموسيقي للترخيم ينسابُ من تآلف الحروف وتوازن الكلمات مع دلالات المعنى ، وإيقاع النسق .. مما يضفي على المعنى عمقًا وعلى الأداء تصويرًا ينفذ إلى القلب فيهزه ، وإلى الوجدان فيرقه .

" وقد اختلف النحاة في تحديد مفهوم الضرورة اختلافًا غير قليل ، فمنهم من يرى اطلاقها على كل ما جاء في الشعر ، سواء كان للشاعر عنه مندوحة أم لا ، ومنهم من يرى أنها ما يضطر الشاعر إليها اضطرارًا بحيث لا يكون عنه مندوحة ، ومنهم من يرى : أن لا معنى لقول من يقول : إن للشاعر عند الضرورة أن يأتي شعره بما لا يجوز " (٤).

ويقول ابن يعيش في باب الممنوع من الصرف متحدثًا عن الضرورة :" إن ضرورة الشعر تبيح كثيرًا مما يحظره النثر، واستعمال ما لا يسوغ استعماله في حال الاختيار والسعة ، فجميع ما لا ينصرف يجوز صرفه في الشعر لإتمام القافية ، وإقامة وزنها بزيادة التنوين ، وهو من أحسن الضرورات، لأنه ردٌّ إلى الأصل ولا خلاف في ذلك"(٥).

ويعلق صاحب رسالة الضرورة على رأي ابن يعيش بقوله :" رأيه أن الضرورة تقدر بقدرها، وتقتصر على مواضعها، فلا يتوسع فيها الشاعر أو يرجع إليها في كل حين سواء كان هناك ضرورة لهذه الضرورة أم لا ، وإنما يلجأ إليها عندما تضيق به السبل، وتُسد أمامه الطرق ، ولكن الضرورة التي يخرج إليها تبقى محدودة بحدودها ، لا تجعل أصلا فيما بعد نقيس عليه كلما اضطر إلى ذلك ، وتكون خاصة بالموضع ذاته "(٦).

ويرى ابن مالك أن الضرورة ما ليس للشاعر عنه مندوحة، اعتمادًا على أن الضرورة مشتقة من الضرر وهو الضيق، ويعلق صاحب الرسالة على رأي ابن مالك بقوله .." وهذا المذهب ظاهره الفساد، لاعتماده على مجرد التفسير اللغوي البحت لمعنى الضرورة، دون

---

(١) الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، الدار القومية للطباعة والنشر .

(٢) مقال بعنوان " موسيقى الأدب " للدكتور / بدوي طبانة ، منشور في مجلة أقلام ، الجزء العاشر، السنة الأولى ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، جـ٢/٤١.

(٤) رسالة ماجستير بعنوان " الضرورة الشعرية في شرح المفصل لابن يعيش ، ص/١٠٦، إعداد : وحيد عز الرجال متولي ، إشراف / الأستاذ الدكتور: فاروق بدير ، والأستاذ الدكتور: شكري دياب ، جامعة الأزهر، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٥) المرجع السابق، ص/١٠٨.

(٦) المرجع السابق ، ص/١٠٩.

مراعاة لطبيعة الشعر ، ودون نظر إلى أن الشعر هو لغة العواطف والوجدان ، وربَّ كلمة يراها الشاعر مفعمة بالمعاني التي تجيش في صدره ، صادقة في التعبير عنها، ولا يرى ذلك في مرادفاتها مما يساير سنن الكلام، وقواعد النحاة .

وقال أبو حيان عن ذلك :" لم يفهم ابن مالك معنى قول النحويين في ضرورة الشعر، فقال في غير موضع ليس هذا البيت بضرورة ؛ لأن قائله لأن قائله متمكّن من أن يقول كذا ، ففهم أن الضرورة في اصطلاحهم هو الإلجاء إلى الشيء ، يقال : إنهم لا يلجؤون إلى ذلك، إذ يمكن أن يقول كذا، فعلى زعمه لا توجد ضرورة أصلا ؛ لأنه ما من ضرورة إلا ويمكن إزالتها، ونظم تركيب آخر غير ذلك الترتيب ، وإنما يعنون بالضرورة أن ذلك من تراكيبهم الواقعة في الشعر والمختصة به ، ولا يقع في النثر من كلامهم ، وإنما يستعملون ذلك في الشعر خاصة دون الكلام، ولا يعني النحويون بالضرورة أنه لا مندوحة بالنطق بهذا اللفظ، وإنما يعنون ما ذكرناه ، وإلا كان لا يوجد ضرورة لأنه ما من لفظ إلا ويمكن للشاعر أن يغيره "(١).

المبحث الثاني ..

الترخيم في لغة الشعر ودلالته البلاغية والجمالية ..

النموذج الأول .. من العصر الجاهلي :

١. الحادرة في عينيته ..

يقول الحادرة في مطلع عينيته (٢)..

بكـــرتْ سميةُ غدوةً فتمتـــع	وَغَـــــدَتْ غَدُوَّ مُفارقٍ لَمْ يَرْجِعِ
وَ تزودتْ عيني غداةَ لقيتـــها	بلـــوى عنيـــزةَ نظرةً لم تـــنفع
وَ تصدفتْ حتى استبتكَ بواضح	صلتٍ كمنتصبِ الغزال الأتـــلع
و بمقلتيْ حوراءَ تحسبُ طرفها	وَ سنـــانَ ، حرةِ مستهلَّ الأدمع
وإِذا تُنـــازِعُكَ الحديثَ رَأَيْتَـــها	حسـناً تبسـمها لـــذيذَ المكرع

مكانة القصيدة .. وقيمتها الأدبية ..

يقول عبد الكريم حسين (٣): " احتلت هذه القصيدة مكانًا مرموقًا بين علماء الأدب القدماء ولهم مواقف مجملة تؤلف خلاصة وعيهم بالقيمة الفنية للقصيدة ، ومدى إدراكهم لمكانتها البلاغية والإبداعية بين قصائد ذلك العصر . وقد ورد عن حسان بن ثابت ، أنه إذا قيل له تنوشدت الأشعار في موضع كذا وكذا ، يقول : فهل أنشدتْ كلمة الحويدرة : بكرتْ سميةَ غدوةً فتمتع..

وهذا الخبر يدل على أن محبي الشعر إذا التقوا في موضع ليتناشدوه فإنه يتخير كل منهم ما يلذ له من الشعر ذوقًا ، وما يجمُلُ في عينيه رؤيةً ، أو ما يشبع سائر حواسه المتطلعة إلى الجمال.

---

(١) المرجع السابق .

(٢) الحادرة : هو قطبة بن محصن بن جرول بن حبيب بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن غطفان ، شاعر من قيس جاهلي مقلّ ، والحادرة لقب نبذه به صاحبه زيان بن سيار ، وقد روي في الأغاني مهاجاة بينهما، حيث قال ابن سيار : كأنكَ حادرةُ المنكبين ، قراءة في الأدب القديم ، لمحمد محمد أبو موسى ، ص:١٩٠.

(٣) في بحثه المعنون بـ (التكوين الجمالي في قصيدة الحادرة الذبياني) والمنشور في مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٢٧، العدد الثالث + الرابع ، ٢٠١١م .

وحسان لم يسأل من بين القصائد إلا عن عينية الحادرة ، فكأنه يشير إلى أنها بلغت الذروة من الجمال اللغوي والتركيبي من بين القصائد العِظام، حتى إنه يتوقع أنها إن لم تنشد في مجالس الشعر فكأنهم لم ينشدوا شعرًا البتة ، وكأن ذوقهم الجمالي لم يرقَ في مجلسهم ارتقاءً سامقًا يصل إلى متعة الشعر وجمال إنشاده إذا لم يعرجوا على إنشاد عينية الحادرة ..

فللقصيدة طبيعة جمالية وتركيبية متفرِّدة عن القصائد الأخر ، وإنما يدل هذا الشاهد على أن حسان يعدها مثلا عاليًا في الشعر ، وتقصر قامات الشعراء دونها ، وهي شهادة من حسان تدل على عمق رؤيته الفنية الشاعرة والناقدة في اكتناه الجانب الفني والجمالي للقصيدة .

ويروى أن جابر بن عبد الله قال عندما ذكر الحادرة عنده : " لَعَنَ الله كلمته يعني قصيدته"، وإنما لعنها على جهة التعجب والدهشة ، وإشارة منه إلى أنها بلغت غاية الحسن والجمال .

فقوله كان على طريقة العرب في قولهم : قاتله الله ما أفصحه ، فهو لا يلعنها طردًا لها ، بل يعبر عن شدة سطوتها على نفسه، ويتمنى لو تخلص من تأثيرها، ومن سلطان الحسن والجمال فيها ، فهي قوية حاضرة مستبدة به (١).

وقال أبو عبيدة فيها :" أنها من مختارات الشعر أصمعية مفضلية "، مما يجعل القصيدة ، من عيون الشعر العربي (٢).

وفي القصيدة عينية الحادرة يحكي قسمات شوقٍ لمحبوبته سمية ،التي رحلت عن دياره ، وكان شغوفًا بها ، حتى لقيها في " بلوى البنينة " وتزود منها بنظراتٍ طويلة لاهفة عبثت بمشاعره، فكانت كأنها الحياة الأبدية التي أشعلت جذوة الروح والسعادة به .

وسمية هذه قد تعرضت له فرأى لها جيدًا ناصعًا واضحًا كجيد الغزال ، وعينين حوراوين فيهما فتورٌ وتكسُّر ، فوقع في حبها وصارَ أسيرًا لهذا الجمال ، وكان يحادثها أحيانًا فيرى فيها ملاحةً وعذوبة ، وتجري في وجهها المشرق ابتسامة عذبة، فأسرت الحادرة بجمالها، حتى تملكت عليه عقله وقلبه ..

فاستخدام الحادرة للترخيم في متوسط قصيدته في قوله :

أَسمَّيَ وَيْحَكَ هل سمعتِ بِغَدْرَةٍ ** رُفع اللِّوَاءُ لنَا بِها في مَجمعِ

لم يكن عفو الخاطر ، أو ترفًا لغويًا مكنته منه حياته في ذلك الزمن الذي عرف بالبلاغة اللغوية ، أو ضرورة شعرية فرضها عليه الوزن الشعري ، بعيدًا عن مشاعره وانكبابها على محبوبته حتى إنه لم يرخم من بين الأسماء إلا اسم سمية ، ولما كان الترخيم متلازمًا مع النداء ، فقد اتخذ الحادرة من أدوات النداء الهمزة التي تعد من أصدق أدوات النداء للشخص القريب في الموقع المكاني، والموقع النفسي من المشاعر معًا ، كما أنها قريبة من الروح والقلب .

وقد ألغت همزة النداء ما كان بينهما من البعد المكاني والمسافات الشاسعة التي تفصل بينهما، وقد أحضرت همزة النداء سمية فجعلتها وكأنها في قربها في مكان الشهود، فهو يهمس إليها بهذا الصوت القصير الرخيم الذي تسمعه في صوت الهمزة ، وأضفى على اسم سمية المرخم بعدها ودًا عميقًا، فكأنه بقطع آخر الاسم قد احتضنه وفاض عليه من حنانه ، كما قال عنه النحاة أن الترخيم مأخوذ من قولهم : رَخَمَتِ الدجاجةُ على بيضها أي: احتضنته (٣).

والترخيم المسبوق بنداء الهمزة أضفى على الاسم مزيدًا من الرشاقة واللطافة، والحنان، والقرب والدلال ، وبناؤه على هيئة التصغير بناء يوحي بمعنى الطفولة والبراءة والملاحة ،

---

(١) المرجع السابق ، بشيءٍ من التصرف .

(٢) المرجع السابق .

(٣) قراءة في الأدب القديم ، لمحمد أبو موسى، ص/ ٢٠٥ ، بشيءٍ من التصرف .

والتدليل البالغ، وتكراره في القصيدة يؤكد الإحساس بالنقاوة والطهارة والبراءة، ثم يردفه بقوله " ويحكِ" وهي لفظة تدل على الإعجاب والمديح ، وكيف سكبها في أذنها القريبة بهذا الهمس (١).

وهذا المعنى أعلاه هو ما أذهب إليه وأجد أنه ينساق مع مقصد الشاعر ، إلا أن الأستاذ عبد الكريم محمد حسين في بحثه السالف(٢) : عدَّ الترخيم من ضرائر الشعر ، فيقول :" ثمة ظواهر قليلة في القصيدة، تشير إلى الحذف اقتضاء للوزن، أو مخالفة إعراب، فمن الحذف ترخيم اسم سمية ، وحُذف منها التاء الدالة على تأنيث الاسم في قوله : (أَسُمَيَّ ويحكِ) فكأنه تنقصها بهذا النداء ؛ لأن رحيلها يوهم صحة دعوى المدعين بسوء الجوار أو الخصال فيه، وفي قبيلته، وهذا داعٍ معنوي أوجبه ابتداءً مطلع جديد يتناول فيها الشاعر دفع الأذى عن قبيلته ، وهو سياق مختلِف عن مطلع القصيدة، إذ أن غرضه في المطلع بيان عفتها، وموقعها في نفسه، وأثر رحيلها فيه، فجاء باسمها من غير انتقاص (بكرتْ سميةَ) ، ولما عدل إلى جهة أخرى انتزع منها كما انتزعت منهم، ولا حجة بموجب الوزن أو اقتضائه ، لأن الشاعر قادرٌ على صياغة البيت من غير انتقاص اسمها كما فعل في أول القصيدة .

وجاء باسمها مرة أخرى مرخَّمًا على جهة العطف ، فقال : (فسميَّ ما يدريك) فكان رخم اسمها أولا على لغة من ينتظر عودتها إلى القبيلة ، كما ينتظر عودة تاء التأنيث إلى اسمها ، وفي المرة الأخرى بنى اسمها على الضم على لغة من لا ينتظر عودتها إليه ، كما لا ينتظر العودة عن حذف التاء .

فسمية وهي من السمو أو الوسم ، تكرر اسمها ثلاث مرات ، أولها تامٌ من غير نقص ، لأن الرحيل كان خيارًا لها ، وهي حرة تامة الحرية في اختياراتها فلم ينقص اسمها ، ولعله كان يحلم بالكف عن الرحيل في ساعة الوداع ، فخاطب فيها تمام حريتها وعقلها ، وانتقص اسمها لأن رحيلها يحمل انتقاصًا له ولقبيلته ، إذ كان في موضع الدفاع عن قبيلته وعن نفسه ، ولاشكّ أنه كان يستحضرها بحضور اسمها استحضارًا تامًا أو ناقصًا وفق الموقف والأحوال في مقاطع القصيدة " (٣).

وحيث إن رأي الأستاذ عبد الكريم يميل – كما أعتقد – إلى التكلف الشديد للذهاب بمعنى الترخيم نحو الضرورة الشعرية .

إلا أنني أجد أن الترخيم أحد المعاني اللغوية المنسجمة مع عواطف الشاعر ومشاعره وخلجات نفسه، فهو يظهر في الشعر الجاهلي كثيرا ، لأن أولئك الناس في زمانهم الأول كانوا أشد الناس معرفة باللغة وبمكنوناتها، ويمتلكون قدرة بارعة على التعبير بها عن أحاسيسهم ومشاعرهم ..

وأؤيد ما ذهب إليه الدكتور أحمد ويس في قوله (٤):" بيد أن كثيراً من القدماء عدُّوا ما يرونه من اختلاف الشعر في نظمه عن الكلام العاديّ من قبيل الضرورة. وكان هذا الوصف بالضرورة كما يقول إبراهيم أنيس "وصمة وصموا بها الشعر العربيّ عن حسن نية منهم". وكثيراً ما كانوا يعزون سبب هذه الضرورة إلى الوزن والقافية باعتبارهما قيدين على نحو ما، وقلّما التفتوا إلى طبيعة التجربة الشعورية المعقدة لدى الشاعر وما لها من تأثير على أسلوبه ".

****

---

(١) المرجع السابق ، ص/٢٠٥-٢٠٦ .

(٢) المعنون بـ (التكوين الجمالي في قصيدة الحادرة الذبياني) والمنشور في مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٢٧، العدد الثالث + الرابع، ٢٠١١م .

(٣) المرجع السابق ، ص/ ٦٩-٧٠.

(٤) جماليات التركيب بين الشعر والنثر في التراث البلاغي والنقدي ، للدكتور/ أحمد محمد ويس.

٢. المثقب العبدي (١) في نونيته :

أفاطمُ ! قبلَ بينكِ متِّعينى	ومنعكِ ما سألتكِ أنْ تبيـــــنى
فَلا تَعِدي مَواعِدَ كاذِباتٍ	تمر بها رياحُ الصيفِ دوني
فإنِّى لوْ تخالفــني شمالى	خلافكِ ما وصلتُ بها يميني
إذاً لَقَطَعتُها ولقُلتُ :بِيني	كذلكَ أجتوى منْ يجتوينـــي

يتساءل الدكتور ياسر عبد الحسيب في بدء مقاله الذي عنون له بـ (الذات المأزومة قراءة في نونية المثقب العبدي " فيقول .. " هل كان أبو عمرو بن العلاء البصري ، وأحد القراء السبعة المشهورين، وشيخ الرواة [ت١٥٤هـ] محقًّا عندما قال : لو كان الشعر مثل قصيدة المثقب العبدي النونية ، لوجب على الناس أن يتعلموه "؟!!

ما الذي أعجب أبا العلاء في القصيدة إلى هذا الحد الذي تمنى فيه أن يكون الشعر العربي كله مثلها ، وأن على الناس أن يتعلموه ؟! "(٢).

في هذه القصيدة الشاعر يظهر أنه مهمومٌ محزون ، فكأنه يخاطب محبوبته بخطاب أخير سيكون خاضعًا لجواب محبوبته في البقاء أو الرحيل ..

وكان الترخيم في أفاطم مفتتح لقصيدته ، والفطم في المعجم العربي .. يعني القطع(٣)، وهذه القصيدة تدعو للحسم (٤)، واتخاذ القرار الصارم الذي ليس فيه تراجعٌ أو هوادة ، فيخاطب محبوبته بخطاب قاسٍ جازم ، ويلوح لها إن لم تجبه فسيكون بُعدًا أبدًا .

ولا أعرف ما دعاه لأن يجيب في البيت الثاني بقوله .. فلا تعدي مواعد كاذبات ، فكأنه اعتاد منها الكذب أو إخلاف الوعود ، الأمر الذي يدعوه للشك .. ويشبه وعودها بذرات الرمال التي تنثرها الرياح دونه ..

فكان مطلع القصيدة يلوح بالقطع ، الذي تشاكل في معنى الفطم والترخيم الذي يعدُّ في أصله قطعًا .. من هنا يتبيَّنُ لنا أن الترخيم جاء ليعضد المعنى النفسي والوجداني والدلالي ، فكان الترخيم متناغمًا منسجمًا مع المعنى الدلالي والمعنى النفسي الذي يرمي إليه الشاعر ..

****

النموذج الثالث .. العصر الإسلامي :

يقول قيس بن ذريح (٥):

ووالله ما أدري علامَ هجرْتِنِي وأي أموري يل ليلَ فيك أركبُ

---

(١) هو العائذ بن محصن بن ثعلبة، من بني عبد القيس ، من ربيعة. شاعر جاهلي ، من أهل البحرين، اتصل بالملك عمرو بن هند وله فيه مدائح، ومدح النعمان بن المنذر. في شعره حكمة ورقة .ذكر ابن قتيبة الدينوري أنه سمي بالمثقب لأنه قال.. رددن تحية وكنن أخرى .... وثقبـــــن الوصاوص للعيون

وهو شاعر مجيد؛ فتراكيبه متينة، ولغته جزلة قوية، دقيق الوصف، وتدور أغراضه الشعرية على المدح والفخر والحكمة، والطرد – الصيد - ووصف الراحلة. وقد عاش ما بين (٧١_٣٦)قبل الهجرة..

(٢) منشورة في رابطة أدباء الشام ، ٢٠١٤/٨/٣٠م .

(٣) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ٤٥٤/١٢، العمود الأول .

(٤) قراءة في الشعر العربي القديم ، الدكتورة/ مريم القحطاني، منشور في مجلة النادي الثقافي بجامعة أم القرى .

(٥) قيس بن ذريح الليثي الكناني ، والملقب بمجنون لبنى ، وهو أخو حسين بن علي من الرضاع، عاش في القرن الأول في الإسلام .

ويقول في قصيدة أخرى :

ومهما تكن فالقلبُ يا لُبنُ ناشِزٌ   عليكِ الهوى والحبيبُ ما عست ناصح

****

الترخيم في أسماء الرجال ..

يقول عنترة(١).في معلقته ..

شطتْ مزار العاشقين فأصبحت   عَسِرًا عليَّ طِلابُكِ ابنة مخرمِ
يدعونَ عَنْتَرَ والرماحُ كأنها   أشطانُ بيرٍ فِي لبانِ الأدهمِ

فقد رخم اسم مخرمِ في البيت الأول ، حيث قيل إنه (مخرمة) ، وقد يكون الترخيم هنا لضرورة شعرية دعتْهُ إليها القافية .

أما البيت الثاني فقد رخم فيه اسم عنترَ ، فطأن الترخيم كان لتعظيم فروسيته وإبراز شجاعته حيث إن القوم يلوذون به ويدعونه في موقف مهيبٍ من الحرب الذي صوره والرماح تتطاير يمنة ويسرة .

ويقول الأعشى(٢). ..

أَعَلْقَمَ قَدْ صَيَّرَتْنِي الأمورُ   إليكَ ومَا أنت مُنْقِصِي

وأصله (علقمة) ..

ويدل ترخيم الاسم على التعظيم والإجلال والتقدير له ، وترقُّب الخير والكرم منه، وقد سبقه بحرف النداء الهمزة لما يلوح من أسلوب التلطُّف والوقار الذي يكنه الشاعر في خطاب لعلقمة، ومراعاته لخفض النبرة الصوتية في حضرة العظماء ، فكان مجيء الترخيم في مفتتح القصيدة ومطلعها مجسِّدًا للموقف الشعري، الذي يحتِّم عليه اللين واللطف في مديحه لعلقمة .. ونستبينُ ذلك من خلال المقطوعة كاملة حيث يقول ..

أعلقمُ قدْ صيرتني الأمورُ	**إلَيْكَ، وَمَا كَانَ لي مَنْكَصُ**
كساكمْ علاثةُ أثوابهُ،	**وَوَرّثَكُمْ مَجْدَهُ الأحْوَصُ**
وَكُلُّ أُنَاسٍ، وَإنْ أَفْحَلُوا،	**إذا عَايَنُوا فَحْلَكُمْ بَصْبَصُوا**
وإنْ فحصَ النّاسُ عنْ سيدٍ،	**فَسَيّدُكُمْ عَنْهُ لا يُفْحَصُ**
فهلْ تنكرُ الشّمسُ في ضوئها،	**أوِ القَمَرُ البَاهِرُ المُبْرِصُ**
فَهَبْ لي ذُنُوبي فَدَتْكَ النّفُوسُ،	**ولا زلتَ تنمي، ولا تنقصُ**

---

(١) هو عنترة بن معاوية بن شداد ، قالت عنه المستشرقة ليدي آن ، وقال : فلفريد شافن في كتاب لهما عن المعلقات السبع، في بداية القرن العشرين : أن معلقة عنترة تتحلى بأفضل سماتِ شعر ما قبل الإسلام ".

(٢) هو الأعشى الأكبر ، ميمون بن قيس بن جندل ، من قبيلة بكر بن وائل ، نشأ وترعرع في اليمامة ، توفي سنة ٧هـ،اشتهر بأنه صناجة العرب، لما حوى شعره من موسيقى الغزل والتغني بالمرأة والخمرة ، وكان مقربًا من ملوك الغساسنة، والمناذرة ، وكان له فضل على الشعر الجاهلي حيث أدخل عليه حركة الحوار وتتابع الصور ، ومواقف الجذب والنبذ في شعر النسيب ، وكانت شاعريته جامعة ، تحيطُ بأوصافِ الجزالة ، وتقدر على إعادة خلق المنظر، والمعاناة الذاتية ، إضافة إلى أنه حول الموضوعات المتوارثة إلى لوحات فنية جديدة ، وحاول أن يقاوم طغيان تقاليد الشعر الجاهلي ، فابتكر لنفسه منجاة في شعر الخمر والغزل، وهنا انطلقت قريحته وتفتَّقت عن كثير من المبتكرات التي اعتبرت منطلقًا لفن الشعر الخمري عند العرب. ديوان الأعشى .

ويتضح لنا أن غرض الأعشى من ترخيم الاسم المذكر هو اللين واللطف والوقار في مخاطبة العظماء من الرجال ، فكان ترخيم المذكر هنا متوافقًا مع معنى الترخيم المعجمي .

ويقول الفرزدق(١)...

أبوكَ وعَمي يا مُعَاوِيَ أورثا   تراثنا فأولى بالتراث أقاربه

وقد رخَّم اسم معاوية في أكثر من موطن من القصيدة ..

وقد رُممْتُ أمرًا يا مُعَاوِيَ دونه   خَيَاطِفُ عِلْوَدٍ صِعَابٌ مراتبه
وكم من أبٍ لي يا مُعَاوِيَ لم يَزَلْ   أَغَرَّ يبارِي الريحَ ما أَزْوَرَّ جَانِبُه

وحيثُ إنه رخَّم اسم معاوية في أكثر من موضع في القصيدة إلا أني لا أرى – والله أعلم - سببًا لهذا الترخيم سوى الضرورة الشعرية ، سيما أنه في موطن العتب على معاوية بإعطائه مالا لحتات بن يزيد الذي كان عثمانيًا ، فأنشد الفرزدق هذه القصيدة يخبر سفيان بن معاوية بأنه أحقُّ من حتات بهذا العطاء وأنه أشرف نسبًا وعرقًا منه .

يقول المتلمس(٢). ..

أحَارِثَ إنا لو تُساطُ دماؤنا   تزايلن حتى لا يمسُ دم دمًا

ويقصد (حارثة) وهو خاله الحارث بن التوأم اليشكري .

وقال زهير بن أبي سلمى ..

خذوا حظكم يا عِكْرِمَ واذكروا   أواصرنا والرحمِ بالغيبِ تذكر

أبا عُرْوَ لا تبعد فكل ابن حُرَّةٍ   سيدعوه داعي ميتةً فيجيب
أما تريني اليومَ أمَّ حَمْزَ   قاربت بين عنقي وحَجْزِي

الترخيم في التصغير .. أم حمزَ ..

وهذه الأبيات الثلاثة السابقة استشهد بها أبو البركات الأنباري(٣)في باب الترخيم حين ذكر وقوعه في بعض الأسماء على خلاف القياس، وذلك لتخفيف الاسم الذي كثرت حروفه، وكان ذلك في إشارته إلى اختلاف النحاة حول ترخيم الاسم المضاف ،الذي لا يجيزه البصريون، الذين احتجوا بأن الترخيم مما يؤثر فيه النداء بـ يا .

وذهب الكوفيون إلى جواز ترخيمه واحتجوا بالأبيات الثلاثة السابقة .

---

(١) هو همام بن غالب بن صعصعة بن مجاشع بن دارم ، ولد بالبصرة عام ٢٠هـ ، ونشأ بها ، وتجول في البادية فتطبَّع بطبائعها، من قوة وشكيمة، وغلظة وجفاف، وتعالٍ على المجد، يعضده في ذلك شرفُ أصلٍ وكرمُ محتدٍ ، فأبوه غالب سيد بادية بني تميم ، وأمه ليلى بنت حابس ، أخت الصحابي الأقرع الذي يعد من سادات العرب في الجاهلية ، وجده صعصعة عظيم القدر ، ذائع الصيت، ومات عام ١١٤هـ ، يمتاز شعره بـ فخامة العبارة ، وجزالة اللفظ ، وكثرة الغريب ، وهو من أفخر شعراء العرب، لأن مواد الفخر لديه اكتملت همةً ونسبًا. (ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ/ علي فاعور، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

(٢) هو جرير بن عبد المسيح ، من بني ضبية بن ربيعة بن نزار ، وهذا البيت من قصيدة قالها لأنه كان نشأ أخواله بني يشكر ، وهو من ضبيعة أضجم ، فسأل عمرو بن هند ملك الحيرة يومًا خاله الحارث اليشكري عن نسب المتلمس ، فقال أحيانًا يزعم أنه ممن بني يشكر وأحيانًا يزعم أنه من ضبيعة أضجم فقال عمرو بن هند : ما أراه إلا كالساقط بين الفراشين، فبلغ ذلك المتلمس فقال هذه القصيدة التي يفخر فيها بنسبه، وقد ذكرت هذه القصيدة في الأصمعيات وورد في الحيوان (١٣٦/١).

(٣) في كتابه الموسوم بـ أسرار العربية .

وذهب الأنباري إلى أنهم لا حجة لهم في هذه الشواهد، لأن الترخيم إنما ورد فيها للضرورة، وأن ترخيم المضاف يجوز في ضرورة الشعر ، كما يجوز الترخيم في غير النداء ..

****

المبحث الثالث ..

الترخيم عند كُثَيِّر عزَّة ..

يعد كثير عزة من فحول شعراء الإسلام ، وقد جعله ابن سلام في الطبقة الأولى منهم، وقرنه بجرير والفرزدق والأخطل ، ويقول عنه محمد بن عبد الرحمن بن عوف :" ما قصَّدَ القصيد ولا نعتَ الملوك مثل كثيّر" .

وسُئل مصعب الزبيري : من أشعرُ الناس ؟ فقال : كُثيّر بن أبي جمعه (١)، وقال : هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامتهم ، ولم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدركَ كُثَيّر "(٢)، وفي هذا العصر تطوّر الشعر تطورًا محسوسًا بتأثير أسباب سياسية واجتماعية ، وقد ورثَ الشعراء الإسلاميون من شعراء الجاهلية الإيجاز ، وقوّة التعبير ، وبداهةَ الفكر ، ومتانة السبك ، ثمّ ثُقِّفُوا بالقرآن فظهرت آثاره في تعابيرهم وأفكارهم(٣).

ويُعدُّ كُثَيِّر من الشعراء الغزليين الذي قصروا شعرهم أو جُلَّ شعرهم على الغزل، والتشبيب (٤) لتأثير الإسلام في نفوسهم ، وكل شعره لا يتجاوز موضوعي النسيب والمدح إلا إلى يسيرٍ من الفخر والهجاء، ويتميّز شعره بالواقعية الصادقة المعتدلة التي لا تعجب النُّقاد الأقدمين(٥) .

وكان كثيِّر عزة (٦) دون غيره من الشعراء يحفلُ ديوانه بفنَّ الترخيم ، فالترخيم يتخلل جُلَّ قصائده ، حتى أنها لا تكاد تخلو قصيدة في ديوانه من فن الترخيم ، بل إن بعض القصائد يتكرر فيها الترخيم في كل بيت، وقد اقتصر الترخيم عنده لاسم عزّة فقط (٧)، وذلك لأن شعره في معظمه شعر نسيب وغزل ، وسأعرض لأمثلة متعددة من شعره برز فيها فن الترخيم ، وما جاء الترخيم إلا لاسم عزة في حين كانت في الديوان أسماء أخرى غير عزة ، وهي ليلى ، سلمى ، إلا أنه لم يستخدم الترخيم إلا لاسم عزة .. مما يؤكد على مكانتها في نفسه ، ومصداق ذلك البيت الذي قال فيه ..

على أن في قلبي لِعَزَّةَ وقرةً   من الحب ما تزدادُ إلا تتيُّما

وفيما يلي الأبيات التي ورد فيها ترخيم من ديوانه ..

يقول كثير :

---

(١) كناه إلى أمه جمعة .

(٢) شرح ديوان كُثيّر عزة ، شرح وتحقيق الدكتور/ رحاب عكاوي ، ص/٨، اصدار دار الفكر العربي بيروت .

(٣) أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بطرس البستاني، جـ١/٢٨٦

(٤) الغزل : هو العبث كلامًا أو شعرًا بذكر حوادث النساء، أما النسيب : فعني بذكر جمال المرأة ، ووصف محاسنها، وحنين الشاعر وشوقه إليها، وسرد ذكرياته معها، والديار التي تنزل بها ، أما التشبيب: فهو مرادف للنسيب، إذ يقصد به ذكر المرأة في أول الكلام مع إضافة ذكر الرسوم ومخاطبة آثار الديار وأطلالها، (بحث منشور في مجلة الرسالة ، بعنوان : القصة الشعرية الغزلية في الشعر الجاهلي ، لصالح بشارة).

(٥) الديوان/٦٢.

(٦) هو كُثَيّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح من خزاعة ، كان مكثرًا من قول الشعر ، حتى قيل إنه كان يملي شعره بثلاثين دينارًا، وفي هذا دلالة على كثرته ، وكانت ثقافته قاصرة على لقاء بعض شعراء المدينة، وعلى رواية الشعر وحفظه ، وكان شعره يدل على أن القوة الموجهة في شعره ليست ثقافية ، وإنما نابعة من إحساسه المرهف، وموهبته الشعرية ، وأكبر عامل ساعده على البراعة في شعر وقوله هو صحبته لجميل بثينة ، وكان كثير يقدمه ويشير إلى فضله عليه وأنه تعلم منه ، حتى كان يقول : هل وطَّأَ لنا النسيب إلا جميل، توفي كثير عام (١٠٥هـ) . (الديوان ، ١٠-١١، جمع وشرح : إحسان عباس)..

(٧) وهي عَزَّة بنت حُميل من بني حاجب بن غِفار، وقد جاء وصفها على امرأة رأتها في الديوان بقولها " وما نرى في الدنيا امرأة تفوقها جمالا وحسنًا وحلاوة "، وأنها " كانت أبرع الناس وأحلاهم حديثًا "، ويصفها كثير في شعره ، بالنضج المبكر، (الديوان ، ٢٠).

أَعَزُّ أَجَدَّ الركبُ أن يتزحـــزحوا   ولـــمْ يَعْتَبَ الزاري عليك المعـــاتبُ
فَأَحْيِي هداكِ اللهُ من قد قَتَلْتِهِ   وعاصي كما يعصى عليه الأقاربُ

في البيت الأول يخاطب كُثيِّر عزة مرخمًا لاسمها ابتداءً ، على لغة من لا ينتظر، وكأنه غير معتدٍّ بالحذف الكائن ..

ويقول :
ألا لَيْتَنَا يا عَـــزَّ كنا لذي غَنى   بعيرين نَرْعَى في الخلاء ونَعْزُبُ
وقوله :
فَقُلْتُ لَهَا يا عَزَّ كلُّ مصيبةٍ   إذا وُطِّنَـــتْ يومًا لها النَّفْسُ ذَلَّتِ
وفي بيت آخر يقول :
وآخِرُ عَهْـدٍ منـــكِ يا عَـــزُّ إنه   بذي الرِّمْثِ قَولٌ قُلتِهِ وهو صـــالحُ
وفي آخر القصيدة يقول :
أَبَائنـــةً يا عَـــزُّ غدوًا نَـــواكمُ   سَقَتْـــكِ الغـــوادي خِلْفَةً والروائـــحُ
ويقول :
يا عَـــزُّ أنت البدرُ قد حالَ دونه   رجيعُ التراب والصفيحُ المُضَـــرَّحُ
عجبتُ لبـــرئي منكِ يا عَـــزَّ بعدما   عمِرْتُ زَمَانًـــا منكِ غيرَ صحيـــح
وقال :
كذاكَ أَذُودُ النَّفْسَ يا عَـــزَّ عنكُمُ   وقد أَعْوَرَتْ أسرارُ من لا يَذُودُها
وقوله :
فَيا عَـــزُّ صادي القلب حتى يَوَدُّنِي   فُـــؤادَكِ أو رُدِّي عليَّ فُـــؤاديَ

و قال ..
أمُنْقَطِعٌ يَا عَزَّ مَا كَانَ بَيْننا   وشاجَرَني يا عزَّ فيكِ الشّواجرُ

وقال :
فيـــا عَزُّ ليت النَّـــأيَ إذ حالَ بيننا   وبينَكِ باعَ الودَّ لي منك تاجرُ
ويقول:

وقُلتُ وفي الأحشاءِ داءٌ مُخَامرٌ   ألا حبذا يا عَـــزَّ ذاك التـــشايرُ

وقد زَعَمَـــتْ أني تَغَيَّـــرْتُ بعدهـــا   ومن ذا الذي يا عَـــزُّ لا يتغيـــرُ (١)
وأعجبني يا عَـــزُّ منكِ خـــلائقٌ   كـــرامٌ إذا عُدَّ الخلائقُ أربـــعُ

لَعَمْـــرِي لقد رُعْتُـــم غَدَاةَ سُوَيْقَةٍ   ببينكم يا عَـــزَّ حقَّ جَـــزُوعِ
ويا عَـــزَّ للوصل الذي كان بيننـــا   نضا مثل ما ينضو الخِضَابُ فَيَخْلَقُ
سَقَـــى دِمْنَتَينِ لم نجـــد لهما مثلا   بِحَقْلٍ لكم يا عَزَّ قد زانتا حقلا
فيا عَـــزَّ إنْ واشٍ وشَى بيَ عندكُم   فلا تكرميه أن تقولي له أهلا

فهل يُصبحـــنَ يا عَزُّ من قد قتلتـــه   من الهمِّ خلوًا نفسُهُ لا هوىً لها

صحا قلبُهُ يا عَزَّ أو كاد يذهلُ   وأضحى يريدُ الصرمَ أو يتبدَّلُ

---

(١) وردت في أبيات لكثير رثى فيها عبد العزيز بن مروان ، الديوان /٩١ .

أيادي سبا يا عَزَّ ما كنتُ بعدكم   فلم يحلَ للعينينِ بعدَكِ منزِلُ

وقلتُ لها يا عَزَّ أرسل صاحبي   على نأي دارٍ والرَّسُولُ موكَّلُ
فقلتُ لها يا عَـــزَّ أرسلَ صاحِبي   إليكِ رسولاً والمُوَكَّلُ مرسَلُ

أَقِيمي فإن الغَورَ يا عَزَّ بعدكــم   إلي إذا ما بِنْتِ غيــرُ جميــل
لعمرُكِ ما أنصَفْتِــنِي في مــودَّتِي   ولكنني يا عَــزُّ عنكِ حليــمُ

فإن تَصْدُفي يا عـــزُّ عني وتصرِمِي   ولا تقبلي مني خلالا أسومها
وهاجرةٍ يا عَـــزَّ يلتفُّ حرُّها   برُكبانها من حيثُ ليّ العمائمُ
فوقفْــتُ فيها صاحِبيَّ وما بها   يا عَــزَّ من نَعَــمٍ ولا إنســـانِ
وإني لأرضى منكِ يا عَزُّ بالذي   لو أبصرهُ الواشيٍ لَقَرَّتْ بلابله

ولديه قصيدة جميلة جعل التكرار فيها بالترخيم فكان لها رونقًا وجمالا متفردًا ..
يقول فيها ..

وقفتُ عليهِ ناقتـــي فتنازعتْ	**شعوبُ الهـــوى لمّا عرفتُ المغانيا**
فَمَا أَعْرِفُ الآيــاتِ إلاّ تَوّهُّماً	**وَمَا أَعْرِفُ الأَطْلاَلَ إلا تمــاريا**
ومـــا خَلَفٌ مِنْكُمْ بأطلالِ دِمْنَةٍ	**تنكّرنَ واستبدلنَ منكِ السَّوافيا**
وإنْ طنّــتِ الأذنانِ قلتُ ذكرتني	**وإنْ خَلَجَتْ عيني رَجَوْتُ التَّلاقيا**
أيــا عزَّ صادي القلبَ حتى يودَّني	**فــؤادُكِ أو ردّي عليَّ فؤاديــا**
أيــا عزَّ لو أشكو الذي قد أصابني	**إلى ميِّتٍ في قبرهِ لبكى ليــا**
ويــا عَزَّ لو أشْكُو الذي قَدْ أصَابَني	**إلى راهبٍ في ديرهِ لرثى ليـــــا**
وَيَــا عَزَّ لو أشْكُو الذي قَدْ أصَابَني	**إلى جَبَلٍ صَعْبِ الذُرى لانحنى ليــا**
وَيَــا عَزَّ لو أشْكُو الذي قَدْ أَصَابَني	**إلى ثَعْلَبٍ في جُحْرِهِ لانْبَرى ليـــا**
وَيَا عَزَّ لو أشْكُو الذي قَدْ أَصَابني	**إلى موثقِ في قيدِهِ لعدا لِيـــا**

ويقول في قصيدة ..

يقولُ العِدَا يا عَزَّ قد حالَ دونكم   شجاعٌ على ظهرِ الطريقِ مُصَمَّمُ
فقلتُ لها واللهِ لو كان دونَــكُم   جهنَّمُ ما راعتْ فُــؤادي جهنَّـــمُ
وكيفَ يرُوعُ القلبَ يا عَـــزَّ رائــعٌ   ووجهُكِ في الظلماءِ للسِّفْرِ مَعْلَمُ
وما ظَلَمَتْكِ النَّفْسُ يا عـــزَّ في الهوى   فلا تنقمي حُبي فما فيه منقمُ

أمُنْقَطِعٌ يَا عَزَّ مَا كَانَ بَيْننا	**وشاجرَني يا عزَّ فيكِ الشّواجرُ**
إذا قيلَ : هذي دارُ عزَّة ، قادَني	**إليها الهوى واسْتَعْجَلَتْنِي البَوَادِرُ**
أصدٌّ وبي مثلُ الجنونِ لكيْ يرى	**رُواةُ الخنا أنّي لبيتِك هاجرُ**
فَيَا عزَّ لَيْتَ النأيَ إذْ حَالَ بَيْنَنَا	**وبينكِ بَاعَ الوِدَّ لي مِنْكِ تاجِرُ**
وأنتِ التي حبَّبتِ كلَّ قصيرة ◌ٍ	**إليَّ، وما يدري بذاك القصائرُ**

الخاتـــمة ..

ويتبين أن الترخيم يرد في معاني اللطف والتودّ في حين ، ويرد في معاني الإجلال والتقدير لأسماء الرجال ، وهذا يؤكد صلة فن الترخيم الوطيدة مع معناه المقصود وهو :" اللين واللطف والرقة "، ويبدو أن النحاة قد راعوا هذه المعاني حين حددوا معنى الترخيم، اعتبارًا للظروف التي يرد فيها في المنادى، إذ أنه يرد في مقام اللين والرقة ، ويقصد به غالبًا التدليل للصغار أو الأحباب، أو الأصدقاء، ويستدعي ذلك تخفيف النطق وتسهيله بحذف آخر الكلام (١).

ونخلص إلى أن الترخيم في لغة الشعر يكون غالبًا مترجمًا لمعاني حسية يرمي إليها الشاعر في شعره وتظهر على ألفاظه ، وهذا تبين أكثر من خلال ورود الترخيم كظاهرة بارزة في شعر النسيب عمومًا ، ووجوده في أسماء بعض الرجال على قلة يشي بمقدار التلطُّف واظهار الوقار والإجلال في خطابهم ، غير أنه قد يخرج إلى معانٍ أخر يحددها السياق .

---

(١) النحو المصفى ، للأستاذ الدكتور/ محمد عيد ، عالم الكتب ، ص: ٤٠٨.

المراجع والمصادر :

١. -أساليب النداء في شعر رثاء شعراء انتفاضة الأقصى ، دراسة وصفية تحليلية ، إعداد : غريب محمد نايف، وإشراف الأستاذ الدكتور/ محمود محمد العامودي، الجامعة الإسلامية بغزة ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٢. أسرار العربية ، أبي البركات الأنباري ،

٣. -الإعجاز بإيجاز الحذف ، في القرآن الكريم ، ستنا محمد علي ، بحث منشور في مجلة العلوم والبحوث الإسلامية ، العدد الثاني ، فبراير ، ٢٠١١م .

٤. تفسير أبو السعود ، المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي ، الناشر / دار إحياء التراث .

٥. التكوين الجمالي في قصيدة الحادرة الذبياني ، للأستاذ / عبد الكريم محمد حسين ، والمنشور في مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٢٧، العدد الثالث + الرابع، ٢٠١١م .

٦. الترخيم في العربية ، معناه ، أغراضه ، أنواعه ، د. إبراهيم حسن إبراهيم ، مطبعة حسان ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٧. التوابع في الجملة العربية ، د. محمد حماسة عبد اللطيف ، الناشر مكتبة الزهراء .

٨. جماليات التركيب بين الشعر والنثر في التراث البلاغي والنقدي ، للدكتور/ أحمد محمد ويس.

٩. خصائص التراكيب ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني،الطبعة السادسة ، الناشر مكتبة وهبة .١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

١٠. ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ/ علي فاعور، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١١. ديوان الأعشى .

١٢. الذات المأزومة ، قراءة في نونية المثقب العبدي ، د. ياسر الحسيب ، رابطة أدباء الشام ، ٢٠١٤/٨/٣٠م .

١٣. شرح ديوان كُثيّر عزة ، شرح وتحقيق الدكتور/ رحاب عكاوي ، ص/٨، اصدار دار الفكر العربي بيروت .

١٤. رسالة ماجستير بعنوان " الضرورة الشعرية في شرح المفصل لابن يعيش ، ص/١٠٦، إعداد : وحيد عز الرجال متولي ، إشراف / الأستاذ الدكتور: فاروق بدير ، والأستاذ الدكتور: شكري دياب ، جامعة الأزهر، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٥. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، وعلوم حقائق الإعجاز ، للإمام يحيى بن حمزة العلوي اليمني ، تحقيق الدكتور/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية ، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .

١٦. قراءة في الأدب القديم ، لمحمد أبو موسى، مكتبة وهبة .

١٧. قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي ، للشيخ محمود أحمد شاكر ، الناشر : مطبعة المدني .

١٨. قراءة في الشعر العربي القديم ، د. مريم عبد الهادي القحطاني، بحث منشور في مجلة النادي الثقافي بجامعة أم القرى .

١٩. الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد، أبو العباس محمد بن يزيد ،مج ١، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، من إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

٢٠. لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين بن محمد بن منظور الافريقي المصري ، جـ١٢، باب الميم، دار صادر .

٢١. لغة الشعر ، دراسة في الضرورة الشعرية ، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق ، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .

٢٢. ما يحتمل الشعر من الضرورة ، لأبي الحسن عبد الله السيرافي، تحقيق وتعليق : د. عوض بن حمد القوزي، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م ، طبع بمطابع دار المعارف .

٢٣. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح بن جني ، الناشر / وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

٢٤. معاني النحو ، للدكتور / فاضل السامرائي ، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، دار الفكر .

٢٥. معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، للدكتور / محمد سمير نجيب اللبدي ، مؤسسة الرسالة دار الفرقان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٢٦. مقال بعنوان " موسيقى الأدب " للدكتور / بدوي طبانة ، منشور في مجلة أقلام ، الجزء العاشر، السنة الأولى ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٢٧. النداء بين النحويين والبلاغيين ، مبارك تريكي ، المركز الجامعي لمدية ، منشور في مجلة حوليات التراث، ع ٢٠٠٧/٧ م . .

٢٨. النحو المصفى ، للأستاذ الدكتور / محمد عيد ، الناشر: عالم الكتب .

٢٩. النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة ، والحياة اللغوية المتجددة، جـ٤ ، للدكتور/ عباس حسن ، طبعة دار المعارف بمصر .

٣٠. نظام التصوير الفني في الأدب العربي ، د. وهيب طنوس،منشورات جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية .

٣١. نظرية الترخيم ، بين النحو القديم واللغويات الحديثة، عبد الحميد الأقطش، والمنشور في مجلة جامعة اليرموك .